

شرح الصلاة
في السؤال عن أول هذا الأمر

تأليف
عبدالمعز بن عبد العزيز السعدي

دار العبادة
للنشر والتوزيع

شرح الصلاة

ح دار العاصمة للنشر والتوزيع ، ١٤١٦ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السماري ، منصور عبدالعزيز

شرح الصدر في السؤال عن أول هذا الأمر . - الرياض .

٢٢ ص : ١٤ × ٢١ سم

ردمك : ١ - ٥٤ - ٧٤٩ - ٩٩٦٠

أ - العنوان

١ - الحديث شرح

١٦ / ١٢٢٩

ديوي ٢٣٧,٣

رقم الإيداع : ١٦ / ١٢٢٩

ردمك : ١ - ٥٤ - ٧٤٩ - ٩٩٦٠

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م

وَأَلِ الْعَاصِمَةَ

المملكة العربية السعودية

الرياض - ص ب ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي ١١٥٥١

هاتف ٤٩١٥١٥٤ - ٤٩٣٣٣١٨ - فاكس ٤٩١٥١٥٤

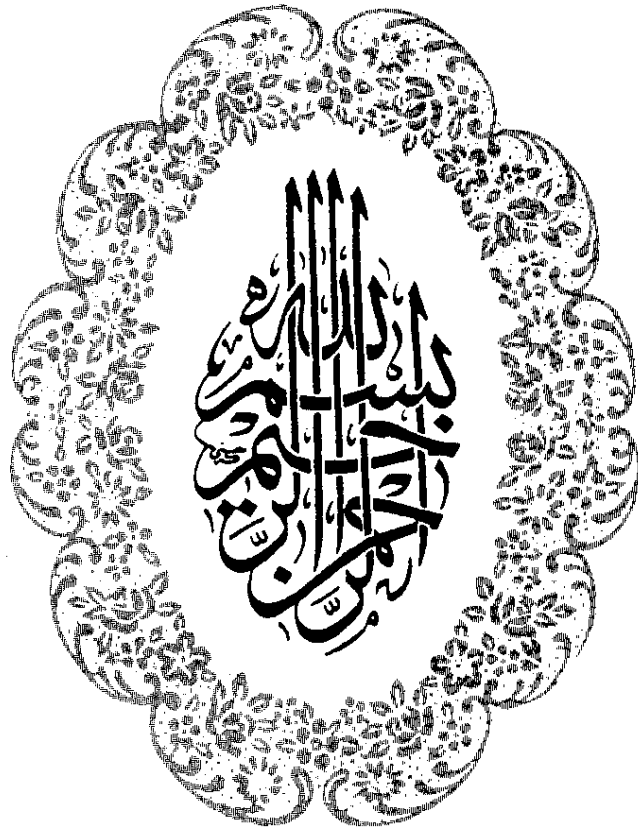
تم الصف التطوير والإخراج بدار العاصمة للنشر والتوزيع

ت : ٤٩٣٣٣١٨ - فاكس : ٤٩١٥١٥٤

شرح الصلاة
في السؤال عن أول هذا الأمر

تأليف
عبدالمجيد بن عبد العزيز السعاري

دار العبادة
للتنوير والتوزيع



مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،
أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، فلقد تركنا رسول الله ﷺ، على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فترك فينا ما إن تمسكنا به فلن نضل بعده: كتاب الله وسنته، فلم يترك خيراً إلا ودلنا عليه، ولا شراً إلا وحذرنا منه، فبلغ البلاغ المبين في جميع أمور الدين الظاهرة والباطنة، العملية والعلمية، الأحكام والعقائد، حتى تبيّن الرشد من الغي، والهدى من الضلال، والحلال من الحرام، والمعروف من المنكر، والحق من الباطل، وطريق الجنة من طريق النار، فليس لأحد أن يعدل عما جاء به الرسول ﷺ، بل على الناس أجمعين أن يتبعوه ويسلموا لحكمه، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ

يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ . [سورة النساء، الآية: ٦٥].

فهذه جمل جمعتها، وفوائد انتخبتها في شرح حديث سؤال أهل اليمن عن أوّل هذا الأمر، وسمّيتها «شرح الصدر في السؤال عن أول هذا الأمر». وقد بذلت وسعي في جمع ألفاظ الحديث، والكلام على علله واختلاف ألفاظه، بعد تخريجه من كتب الحديث، ثم بيان المعنى الذي دلّ عليه، وخطأ من تأوّله على غير تأويله، وحلّ مشكله برّد متشابهه إلى محكمه، وذكر ما في السنة من شواهد.

والله أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه، وأن ينفعني به وينفع من قرأه، وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

وكتب

أبو عبدالعزيز منصور بن عبدالعزيز السماري

في المدينة النبوية

ورد في صحيح الإمام البخاري - رحمه الله - في كتاب :

«التوحيد والرد على الجهمية» باب :

﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ ﴿ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾

قال : حدثنا عبدان ، عن أبي حمزة ، عن الأعمش ، عن جامع بن شداد ، عن صفوان بن محرز ، عن عمران بن حصين - رضي الله عنهما - قال : إني عند النبي ﷺ ، إذ جاءه قوم من بني تميم ، فقال : « اقبلوا بشرى يا بني تميم » قالوا : بشرتنا فأعطنا ، فدخل ناس من أهل اليمن فقال : « اقبلوا بشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم » قالوا : قبلنا ، جئناك لتتفقه في الدين ، ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان ؟ قال : « كان الله ولم يكن شيء قبله ، وكان عرشه على الماء ، ثم خلق السموات والأرض ، وكتب في الذكر كل شيء » . ثم أتاني رجل فقال : يا عمران أدرك ناقتك فقد ذهبت ، فانطلقت أطلبها فإذا السراب ينقطع دونها ، وايم الله لو ددت أنها قد ذهبت ولم أقم^(١) .

وقال في كتاب بدء الخلق في الباب الأول منه :

حدثنا عمر بن حفص بن غياث ، حدثنا أبي ، حدثنا الأعمش ، فذكره بنحو حديث أبي حمزة السكري ، ولكن

(١) الفتح (٤٠٣/١٣) ح ٧٤١٨ ، ورواه ابن منده بسنده إلى أبي حمزة السكري في كتاب التوحيد (٨٣/١) ح ٩ .

قال فيه: «كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض»^(١).

فرواه بمثل رواية أبي حمزة السكري، عن الأعمش شيبان بن عبدالرحمن^(٢) وكذلك محمد بن خازم أبو معاوية الضرير، ولكن بلفظ: «كان الله قبل كل شيء»، وكان عرشه على الماء...»^(٣). ورواه بمثل رواية حفص بن غياث، عن الأعمش: أبو إسحاق الفزاري^(٤)، وكذلك أبو عبيدة بن

-
- (١) الفتح (٢٨٦/٦) ح ٣١٩١، ورواه يعقوب البسوي عن شيخ البخاري في المعرفة والتاريخ (١٩٥/٣) ثم البيهقي في سننه الكبرى (٢/٩ - ٣) كتاب السير، وفي الاعتقاد له (ص ٥٥) باب في ذكر صفة الفعل.
- (٢) رواه ابن حبان في صحيحه: الإحسان (١١/١٤) ح ٦١٤٢ وابن منده في التوحيد (٨٥/١) ح ١٠، (١٨٥/٣) ح ٦٣٦ والبيهقي في الكبرى (٢/٩) مبتدأ الخلق.
- (٣) رواه أحمد في مسنده (٤٣١/٤ - ٤٣٢) ثم أبو نعيم في الحلية (٢/٢١٦)، ورواه ابن جرير في تاريخه (٣٨/١)، والطحاوي في مشكل الآثار (٢٩٩/١٤) ح ٥٦٢٩، وأبو الشيخ في العظمة (٥٧١/٢) ح ٢٠٧، والبيهقي في الصفات (٥٦٣/١) ح ٤٨٩.
- (٤) رواه عثمان الدارمي في رده على الجهمية (ص ٢٨) ح ٤٠ وفي رده على المريسي (ص ٨٦ - ٨٧)، والطحاوي في مشكل الآثار (٣٠٠/١٤) - (٣٠١) ح ٥٦٣٠، والآجري في الشريعة (ص ١٧٦ - ١٧٧) والطبراني في الكبير (٢٠٤/١٨ - ٢٠٥) ح ٥٠٠ وأبو نعيم في الحلية (٢٥٩/٨) - (٢٦٠) وابن منده في التوحيد (٨٢/١) ح ٨، (١٨٥/٣) ح ٦٣٦ والبيهقي =

معن^(١)، وأبو بكر بن عياش^(٢)، ومحمد بن عبيد^(٣)،
ورواه خالد بن الحارث^(٤)، والنضر بن شميل^(٥)، عن
المسعودي، عن جامع بن شداد بمثل رواية أبي بكر بن
عياش، عن الأعمش، عن جامع^(٦).

- = في الصفات (٢/٢٣٤) ح ٨٠٠، وفي الاعتقاد (ص ٥٥).
- (١) رواه ابن حبان في صحيحه (الإحسان) (٧/١٤)، ح ٦١٤٠.
- (٢) رواه محمد بن عثمان بن أبي شيبة في العرش (ص ٥١ ح ١، ثم
الطبراني في الكبير (٢٠٣/١٨) ح ٤٩٧.
- (٣) رواه ابن أبي عاصم في الأوائل (ح ١٥٧).
- (٤) رواه النسائي في الكبرى (٦/٣٦٣) ح ١١٢٤٠ كتاب التفسير (سورة
هود).
- (٥) رواه ابن جرير في تفسيره (٤/١٢) وفي تاريخه (١/٣٨).
- (٦) اختلفت الروايات عن المسعودي عبدالرحمن بن عبدالله بن عتبة بن
مسعود، وذلك بسبب اختلاطه، وخلاصة قول أهل العلم فيه أنه ثقة
اختلفت بآخره، وأن سماع من سمع منه قديماً صحيح، والقدم هنا هو:
من سمع منه بالكوفة أو البصرة أو في أول قدومه ببغداد، أو من سمع
في زمان أبي جعفر المنصور، وقد ذكروا فيمن سمع منه قديماً:
خالد بن الحارث، والنضر بن شميل، وفيمن سمع منه بعد اختلاطه:
يزيد بن هارون.
- انظر: الكواكب النيرات (ص ٢٨٢ - ٢٩٨).
- والحديث رواه يزيد بن هارون، عن المسعودي، عن جامع بن شداد،
عن ابن بريدة الأسلمي عن بريدة بن حصيب الأسلمي - رضي الله عنه -
أخرج هذه الطريق أبو الشيخ في العظمة (٢/٥٧٤ - ٥٧٥) ح ٢٠٨،
ورواه عبدالله بن يزيد المقرئ عن المسعودي عن جامع بن شداد عن =

وبهذا يعلم أن الحديث رُوِيَ بألفاظ متعددة،
 والمجلس كان واحداً، وسؤال أهل اليمن وجوابه ﷺ،
 كان في ذلك المجلس، وعمران - رضي الله عنه - الذي
 روى الحديث لم يقم منه حين انقضى المجلس، بل قام
 لما أخبر بذهاب راحلته قبل فراغ المجلس، وهو المخبر
 بلفظ الرسول ﷺ، فدل ذلك على أنه إنما قال أحد
 الألفاظ، والباقي روي بالمعنى، فكأن أشبه الألفاظ بقول
 رسول الله ﷺ، قوله: «كان الله ولم يكن شيء قبله» لما
 ثبت عن رسول الله ﷺ، أنه كان يقول إذا أوى إلى فراشه:
 «اللهم رب السموات السبع ورب الأرض ورب العرش
 العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، ومنزل

= رجل عن بريدة - رضي الله عنه - أخرج هذه الطريق أيضاً أبو الشيخ في
 العظمة (٥٧٧/٢ - ٥٧٨) ح ٢١١.

ورواه روح بن عبادة، عن المسعودي، عن جامع بن شداد، عن
 صفوان بن محرز، عن بريدة - رضي الله عنه - أخرج هذه الطريق ابن
 خزيمة في التوحيد (٨٨٤/٢) ح ٥٩٣، والحاكم في المستدرک
 (٣٤١/٢) كتاب التفسير (سورة هود).

وهذا الاختلاف سببه اختلاط المسعودي، رحمه الله، والصواب ما رواه
 خالد بن الحارث والنضر بن شميل، عن المسعودي، عن جامع، عن
 صفوان بن محرز، عن عمران بن الحصين - رضي الله عنهما - فخالد
 والنضر روي عن المسعودي قبل اختلاطه، وروايتهم عن المسعودي عن
 جامع وافقت رواية الأعمش وغيره عن جامع.

التوراة والإنجيل والقرآن، أعود بك من شر كل ذي شر أنت اخذ
بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك
شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس
دونك شيء، اقض عني الدين واغنني من الفقر»^(١).

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٥١/١٠) ح ٩٣٦٢، وأحمد في
المسند (٣٨١/٢، ٤٠٤، ٥٣٦)، والبخاري في الأدب المفرد (٦١٩/٢)
ح ١٢١٢، ومسلم في صحيحه (٢٠٨٤/٤) ح ٢٧١٣، وأبو داود في
سننه (٣٠١/٥) ح ٥٠٥١، وابن ماجه في سننه (١٢٧٤/٢ - ١٢٧٥)
ح ٣٨٧٣، والترمذي في جامعه (٤٧٢/٥) ح ٣٤٠٠ وقال: حسن
صحيح، والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٩٧/٦)
ح ١٠٦٢٦، وابن خزيمة في التوحيد (٢٦٦/١ - ٢٦٨) ح ١٦٨، ١٦٩،
١٧٠، وابن حبان في صحيحه (الإحسان) (٣٤٨/١٢) ح ٥٥٣٧، وابن
السنني عن النسائي في عمل اليوم والليلة (ص ٣٣٣ - ٣٣٤) ح ٧١٥
وابن منده في التوحيد (٥٧/٢، ٨٣) ح ٢٠٠، ٢٢٤، وفي (٢٦٨/٣ -
٢٦٩) ح ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، والبيهقي في الصفات (٣٨/١) ح ١٢.
من طرق عن سهيل بن أبي صالح عن أبي صالح عن أبي هريرة
- رضي الله عنه - به.

ورواه مسلم في صحيحه، والترمذي في جامعه (٥١٨/٥) ح ٣٤٨١
وقال: حسن غريب، وفي علله الكبير (٩١٥/٢) باب (٤٠٩)، وابن
خزيمة في التوحيد (٢٦٥/١ - ٢٦٦) ح ١٦٧، وابن منده في التوحيد
(٨٢/٢) ح ٢٢٣، والبيهقي في الصفات (٩٨/١) ح ٥٣، والخطيب في
تاريخه (٩٨/٦ - ٩٩)، وأبو إسماعيل الهروي في الأربعين في دلائل
التوحيد (ص ٥٧ - ٦٠) ح ١٥ من طرق عن الأعمش عن أبي صالح عن
أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: أتت فاطمة النبي ﷺ، تسأله خادماً، =

فقال لها: (قولي: اللهم رب السموات...) بمثل حديث سهيل عن أبيه. قلت: هذه الزيادة مشكلة، إذ المحفوظ في جواب النبي ﷺ لها ولعلي - رضي الله عنهما - بعد مجيئها وسؤالها الخادم، أنه علمهما التسبيح ثلاثاً وثلاثين والتحميد ثلاثاً وثلاثين والتكبير أربعاً وثلاثين، وذلك مروى في الصحيحين من حديث علي - رضي الله عنه - من طرق، ومن حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عند مسلم وغيره، ومجيء فاطمة - رضي الله عنها - تسأل خادماً إنما كان مرة واحدة كما هو ظاهر، ولعل هذا هو الذي جعل البخاري يعلّ هذه الرواية باختلاف الرواة على الأعمش، فاعتد بمخالفة قائد الأعمش عبيدالله بن سعيد أبو مسلم - مع ضعفه - لمن هم أوثق منه، كما في علل الترمذي الكبير، وأعلها أيضاً الدارقطني في علله (٢٠٩/١٠) س ١٩٨٠. ورواه النسائي في الكبرى (١٩٧/٦) ح ١٠٦٢٥، وعنه ابن السني في عمل اليوم والليلة (ص ٣٤٦ - ٣٤٧) ح ٧٤٤، وأبو يعلى في مسنده (٢١٠/٨) ح ٤٧٧٤، من طريقين عن الشعبي عن عائشة - رضي الله عنها - وظاهر طريق النسائي الصحة، فهو يرويه عن محمد بن قدامة بن أعين، عن جرير بن عبد الحميد عن مطرف عن الشعبي عن عائشة - رضي الله عنها -، وقد خالفه إسحاق بن راهويه وأبو خيثمة زهير بن حرب، فروياه عن جرير عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - كما هو المحفوظ، فقد رواه عن سهيل بهذا الإسناد وهيب وحماد بن سلمة وعبد العزيز المختار، وخالد الطحان، وإسماعيل بن أبي عياش، وقد يكون الحديث محفوظاً عند جرير من الطريقين، والله أعلم، وأما طريق أبي يعلى فواهية. ورواه الطبراني في الكبير (٣١٦/٢٣) - ٣١٧، ٣٥٢) ح ٧١٧، ٨٢٥، وفي الدعاء له (١٤٣٦/٣) - ١٤٣٧،

وهذا الحديث مفسر لقوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ وكذلك حديث عمران - رضي الله عنه - فيه تفسير لقوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ لأن أهل اليمن سألوا عن أول هذا الأمر، فأوضح لهم النبي ﷺ، أولية الله المطلقة التي ليس لها بداية، قبل أن يشرع في الإجابة عن بداية خلق هذا العالم الذي سألوا عن أوله، فكلا الحديثين قد فسر قوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ فلزم التشابه بين التفسيرين، وأقرب الألفاظ لحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أولى بالترجيح، وهو قوله: «كان الله ولم يكن شيء قبله» والباقي من الألفاظ إنما رُوي بالمعنى، فما اشتبه من معناه رُدَّ إلى هذا اللفظ الراجح.

= (١٤٦٥) ح ١٣٥٦، ١٤٢٢، والبيهقي في الصفات (٣٩/١) ح ١٣ وعلقه البخاري في التاريخ (٤٧٩/٦) من طريق عاصم بن أبي عبيد عن أم سلمة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ، كان يدعو بهؤلاء الكلمات: «اللهم أنت الأول لا شيء قبلك، وأنت الآخر لا شيء بعدك، أعوذ بك من شر كل دابة ناصيتها بيدك.. الحديث». ولفظه مغاير، وإنما ذكرته لمحل الشاهد منه وهو قوله: «اللهم أنت الأول لا شيء قبلك». وعاصم هذا ذكره ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، وذكر البخاري في تاريخه عاصماً هذا وذكر حديثه عن أم سلمة، والحديث فيه اختلاف؛ فمرة يُروى عن موسى بن عقبة عن عاصم عن زينب بنت أبي سلمة أو عن أمها، ومرة يروى عن موسى بن عقبة عن عاصم عن أم سلمة، وعاصم فيه جهالة.

إذا تقرر ذلك، لم يكن في هذا اللفظ تعرض لابتداء الحوادث ولا لأول مخلوق، وأنه ليس مراد الرسول ﷺ هذا، بل إن الحديث يناقض هذا، ولكن مراده الإخبار عن خلق هذا العالم المشهود الذي خلقه الله في ستة أيام ثم استوى على العرش، كما أخبر الله بذلك في كتابه في غير موضع، ويدل على هذا أن قول أهل اليمن: «جئناك لنسألك عن أول هذا الأمر» إما أن يكون الأمر المشار إليه هذا العالم، أو جنس المخلوقات، فإن كان المراد هو الأول كان النبي ﷺ، قد أجابهم؛ لأنه أخبرهم عن أول خلق هذا العالم، وإن كان المراد الثاني لم يكن قد أجابهم؛ لأنه لم يذكر أول الخلق مطلقاً، وإنما ذكر خلق السموات والأرض، ولم يذكر خلق العرش، فعلم أنه أخبر بأول خلق هذا العالم لا بأول الخلق مطلقاً، وإخباره بخلق السموات والأرض بعد أن كان عرشه على الماء، يقصد به الإخبار عن ترتيب بعض المخلوقات على بعض وهذا زيادة إيضاح، وإلا فهم لم يسألوه عن مجرد الترتيب وإنما سألوه عن أول هذا الأمر، وإذا كان إنما أجابهم بهذا علم أنهم إنما سألوه عن هذا، لم يسألوه عن أول الخلق مطلقاً، فإنه لا يجوز أن يكون أجابهم عما لم يسألوه عنه ولم يجبههم عما سألوا عنه، بل هو ﷺ منزّه عن ذلك.

وقولهم: «هذا الأمر» إشارة إلى حاضر موجود، ولو

سألوه عن أول الخلق مطلقاً لم يشيروا إليه «بهذا» فإن ذاك لم يشاهدوه، بل لم يعلموه، فلا يشيرون إليه «بهذا» فعلم أن سؤالهم كان عن أول هذا العالم المشهود^(١).

وهذا إذا تحتم الترجيح بين الروايات، وأما مع إمكان الجمع - وهو أولى - فإن قوله: «كان الله» (كان) هنا تفيد الأزلية، وهي ما لا بداية له، أي: لا بداية له سبحانه، وكذلك قوله: «ولم يكن شيء غيره» معناه نفي الأزلية عما سواه، أي: لم يكن شيء غيره ككونه سبحانه، إذ كل مخلوق كان بعد أن لم يكن، فالحديث فيه تقرير التوحيد وهو من معنى (لا إله إلا الله) ففيه نفي وإثبات، نفي للأزلية عن كل مخلوق بعينه، فهي من صفات الألوهية، وإثباتها له سبحانه، وقوله: «ولم يكن شيء قبله» هو تأكيد لمعنى الأزلية في قوله: «كان الله».

وهذا المعنى لا يوجد أي إشكال بين ألفاظ الحديث المتعددة، فيكون أقرب وأولى من غيره، وأما من قال بأن قوله: «ولم يكن شيء غيره» أي لم يوجد شيء معه، فهو معنى فاسد من وجهين:

أحدهما: أنه اختلف معنى (كان) في أول الحديث عن معناها في آخره من غير دليل، والأصل اتحاد المعنى.

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٨/٢١٢ - ٢١٣).

ثانيهما: أن في هذا المعنى تنقصاً للخالق سبحانه،
بأنه خلق ذاك المخلوق بعينه بعد أن لم يكن خلق شيئاً
قبله، فجعله معطلاً عن الخالقية ثم صار كاملاً بعد خلقه
لذاك المخلوق.

والله عز وجل يقول: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾
فله الكمال المطلق في الاتصاف بالخالقية، فلا يجوز أن
ينفك عن هذه الصفة، فهي قديمة أزلاً وأبداً كقدم ذاته
سبحانه.

فإن قيل: وصف ذاك المخلوق بأنه أول الخلق
مطلقاً، لا يمنع من القول بأن الله يخلق في الأزل، فيقال:
بل يمتنع ذلك إلا إذا جعل ذاك المخلوق مقارناً لله أزلاً
وأبداً، فيمتنع حينئذ أن يكون مخلوقاً لله؛ لأن الخالق لا بد
أن يتقدم على المخلوق، فإن كون الفاعل مقارناً لمفعوله
أزلاً وأبداً مخالف لصريح المعقول ولصحيح المنقول، إلا
إذا أردت أنه لا يمنع من القول بأن الله قادر على أن يخلق
في الأزل، فيقال: هذا القول فيه إثبات القدرة على الخلق
وليس فيه إثبات الفعل، وهو أنه يخلق.

فإذا تقرر ذلك ثبت أن الله - عز وجل - كان يخلق
في الأزل، والأزل ليس شيئاً محدوداً بل معناه عدم
الأولية.

فإذا ظنَّ الظانُّ أن هذا يقتضي قدمَ شيء معه، كان

ذلك من فساد تصوره؛ لأن الله خالق كل شيء، فكل ما سواه مخلوق مسبق بالعدم، فليس معه شيء قديم بقدمه، فإذا قلنا: لم يزل يخلق، كان معناه: لم يزل يخلق مخلوقاً بعد مخلوق، كما لا يزال في الأبد يخلق مخلوقاً بعد مخلوق، فكل مخلوق له ابتداء، ولا نجزم أن يكون له انتهاء؛ لأن الله يكتب الخلود لما يشاء من مخلوقاته، وهذا قد تواترت النصوص من الكتاب والسنة على إثباته، وهذا فرق في أعيان المخلوقات، وهو فرق صحيح لكن يشتبه على كثير من الناس (النوع) بـ(العين) كما اشتبه ذلك عليهم في كلام الله، فلم يفرّقوا بين كون كلامه قديماً بمعنى أنه لم يزل متكلماً إذا شاء، وبين كون الكلام المعين قديماً، وكذلك لم يفرّقوا بين كون الفاعل يفعل شيئاً بعد شيء دائماً وأبداً، وبين كون الفعل المعين قديماً.

فمن اهتدى في هذا الباب إلى الفرق بين (النوع) و(العين)^(١) تبين له فصل الخطأ من الصواب في مسألة الأفعال والكلام^(٢).

(١) التفريق بين (النوع) و(العين) أصلٌ عظيم في باب التكفير، والتبديع، والتفسيق، واللعن، وغيرها، وقد ضلّت الخوارج وغيرهم بسبب جهلهم لهذا الأصل. والله المستعان.

(٢) انظر: الفتاوى (١٨/٢٣٩ - ٢٤٠).

بقي حديث قد يشكل ظاهره على من لم يتدبره
ويجمع طرقه واختلاف ألفاظه، وهو ما روى عبادة بن
الصامت - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ، قال: «إن
أوّل ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فقال: يا رب
وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم
الساعة»^(١).

(١) رواه أحمد في المسند (٣١٧/٥)، والبخاري في تاريخه (٩٢/٢/٣)،
وابن أبي عاصم في السنة (٥٠/١) ح ١٠٧، والبزار في مسنده (٥٠/٢)
مخطوط، وابن جرير في التفسير (١٧/٢٩)، وفي تاريخه (٣٢/١)،
والدولابي في الكنى (ص ١٠٣)، والآجري في الشريعة (ص ٨٣ -
٨٤، ١٧٧ - ١٧٨). من طرق عن معاوية بن صالح، عن أيوب بن زياد
أبوزيد الحمصي، عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت عن أبيه
الوليد، عن أبيه عبادة به.

قال علي بن المديني عن هذا الإسناد: (إسناد حسن) ذكره ابن حجر في
النكت على الأطراف (٢٦١/٤). ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده
(ص ٧٩) ح ٥٧٧ ومن طريقه أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٤٩/١)
ح ١٠٥، والترمذي في جامعه (٤٥٧/٤ - ٤٥٨) ح ٢١٥٥ وقال: حديث
غريب من هذا الوجه، وفي (٤٢٤/٥) ح ٣٣١٩ وقال: حديث حسن
غريب، وفي تحفة الأشراف وكذلك في تحفة الأحوذى قال: حسن
صحيح غريب، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧٩/٧) من تفسير ابن كثير،
واللالكائي في شرح الاعتقاد (٢١٨/٢) ح ٣٥٧.

ورواه ابن جرير في تفسيره (١٦/٢٩) وفي تاريخه (٣٢/١ - ٣٣) من
طريق عباد بن العوام. ورواه علي بن الجعد في مسنده ح (٣٤٤٤) ومن =

طريقه أخرجه البخاري في تاريخه (٩٢/٢/٣)، واللالكائي في شرح
الاعتقاد (٦١٥/٤) ح ١٠٩٧، ثلاثتهم عن عبدالواحد بن سليم، عن
عطاء بن أبي رباح عن الوليد بن عباد بن الصامت عن أبيه عبادة به.
وقد تابع عبدالواحد، عبدالله بن السائب عند ابن أبي عاصم في السنة
(٤٨/١ - ٤٩) ح ١٠٤ وفي الأوائل (ص ٢٦) ح ٢ ولكن في سنده
بقية بن الوليد وهو يدلّس التسوية وقد عنعن، ورواه ابن وهب في القدر
(ص ١٢١ - ١٢٢) ح ٢٧، وأحمد في المسند (٣١٧/٥) عن موسى بن
داود، وابن أبي عاصم في السنة (٤٨/١) ح ١٠٣، وفي الأوائل
(ص ٢٥) ح ١ من طريق مروان بن محمد.

ثلاثتهم عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب، قال ابن وهب: عن عبادة
به، وقال موسى ومروان عن الوليد بن عبادة: عن عبادة به. وفيه: ابن
لهيعة. ورواه ابن وهب في القدر (ص ١٢١) ح ٢٦ من طريق الأعمش
قال: قال عبادة بن الصامت به، وهذا منقطع ولعل الواسطة بين
الأعمش وعبادة: ابنه الوليد. والله أعلم.

ورواه أبو داود في سننه (٧٦/٥) ح ٤٧٠٠، ثم البيهقي في الاعتقاد
(ص ٨٦)، وأبو نعيم في الحلية (٢٤٨/٥) من طريق يحيى بن حسان
عن الوليد بن رباح - كذا قال وهو خطأ، والصواب: رباح بن الوليد -
عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن أبي حفصة حبيش بن شريح الحبشي
الشامي عن عبادة به.

ورواه ابن أبي عاصم في السنة (٤٨/١) ح ١٠٢ من طريق مروان بن
محمد، عن رباح بن الوليد بن يزيد، عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن أبي
عبدالعزیز الأردني، عن عبادة به.

وأبو عبدالعزیز هذا لعله هو حبيش بن شريح، فإن كان هو، فهي الطريق

ورواه ابن المبارك عن رباح بن زيد، عن عمر بن حبيب، عن القاسم بن أبي بزة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ، قال: «أول شيء خلق الله تعالى القلم، فأمره فكتب كل شيء يكون»^(١).

= المذكورة قبل، وإسناده لا بأس به، ورواه الآجري في الشريعة (ص ٨٤، ١٧٨) من طريق معاوية بن يحيى الصدفي، عن الزهري، عن محمد بن عبادة عن أبيه عبادة بن الصامت به، والصدفي ضعيف.

(١) رواه عثمان الدارمي في رده على الجهمية (ص ١٢١) ح ٢٥٣، وفي رده على المريسي (ص ١٩٨)، وابن أبي عاصم في السنة (١/٥٠) ح ١٠٨، وفي الأوائل (ص ٢٦) ح ٣ وابن الإمام أحمد في السنة (٢/٣٩٣) ح ٨٥٤، وأبو يعلى في مسنده (٤/٢١٧) ح ٢٣٢٩، وفي معجمه (ص ٨٢ - ٨٣)، وابن جرير في تفسيره (٢٩/١٦) وفي تاريخه (١/٣٢)، وابن حبان في روضة العقلاء (ص ١٥٧)، والطبراني في الأوائل (ص ٢٢) ح ١، وأبو نعيم في الحلية (٨/١٨١ - ١٨٢)، والبيهقي في الكبرى (٩/٣) وفي الصفات (٢/٢٣٧) ح ٨٠٣ من طرق عن عبدالله بن المبارك به.

وهذا الحديث رجاله كلهم ثقات. قال ابن كثير في تفسيره (٧/٧٩) عن هذه الطريق: «غريب من هذا الوجه، ولم يخرجوه» أي أصحاب الكتب الستة، وحديث ابن عباس لم يُرو مرفوعاً عنه إلا من هذه الطريق.

فقد رواه ابن جرير في تفسيره (٢٩/١٥) وفي تاريخه (١/٣٤)، ٥١ - (١١/٤٣٣) ح ١٢٢٢٧، من طرق عن عطاء بن السائب عن أبي الضحى =

مسلم بن صبيح عن ابن عباس - رضي الله عنهما - موقوفاً بنحوه، وقال فيه: (. . . اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة) وفيه زيادة.

وروى وكيع في نسخته عن الأعمش ح (٤)، وابن جرير في تفسيره (١٤/٢٩) وفي تاريخه (٣٣/١، ٥٠، ٥١)، والآجري في الشريعة (ص ٨٥، ١٧٩) وأبو الشيخ في العظمة (٤/١٣٨٠) ح ٨٩٧، وابن منده في التوحيد (٩٣/١ - ٩٤) ح ١٤، ١٥، والحاكم في مستدرکه (٤٩٨/٢) وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، والبيهقي في الكبرى (٣/٩) وفي الصفات (ص ٤٨١) من طرق عن الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس - رضي الله عنهما - موقوفاً بنحوه، وقال فيه: «. . . فجرى بما هو كائن من ذلك اليوم إلى قيام الساعة» وفيه زيادة.

ورواه الآجري في الشريعة (ص ٨٥، ١٧٨) من طريق عصمة أبو عاصم عن عطاء بن السائب عن مقسم عن ابن عباس - رضي الله عنهما - موقوفاً بنحوه وفيه ألفاظ غريبة، وعصمة أبو عاصم هذا لم أعثر على من ترجم له.

ورواه ابن جرير في تفسيره (١٧/٢٩) وفي تاريخه (٣٥/١) من طريق شعبة عن أبي هاشم المكي عن مجاهد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - موقوفاً بنحوه.

ورواه ابن أبي عاصم في السنة (٤٩/١) ح ١٠٦، والآجري في الشريعة (ص ١٧٥)، والطبراني في مسند الشاميين (٣٨٩/١) ح ٦٧٣، من طرق عن بقية قال: حدثنا أرطاة بن المنذر عن مجاهد عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ، بمعنى حديث ابن عباس، وفيه زيادة، وفي سنده بقية ولم يصرح بالتحديث عن شيخ شيخه وهو يدللس التسوية، وقد رواه الدارقطني في كتاب الصفات (ص ٣٥) ح ١٤ من

ورواه سفيان الثوري عن أبي هاشم عن مجاهد قال: قلت لابن عباس: إن ناساً يكذبون بالقدر فقال: «إنهم يكذبون بكتاب الله، لآخذن بشعر أحدهم فلائصونه، إن الله تعالى ذكره كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً، فكان أول ما خلق الله القلم، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة، وإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه»^(١).

= طريق عتبة بن السكن الفزاري قال: حدثنا أرطاة بن المنذر قال: حدثنا ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عمر به، فظهر أن الوسطة هو ليث بن أبي سليم، وهو ضعيف.

ورواه الطبراني في مسند الشاميين (٣٩٧/٢) ح ١٥٧٢ من طريق أخرى عن ابن عمر، بمثل حديث ابن عباس، وفي سنده نصر بن محمد بن سليمان، وهو ضعيف.

ورواه الآجري في الشريعة (ص ٨٣، ١٧٧) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - وفي سنده الحسن بن يحيى الخشني: ليس بشيء، وشيخه لا يعرف.

ورواه الخطيب في تاريخه (٤٠/١٣) من حديث علي - رضي الله عنه - وسنده مظلم.

(١) رواه عثمان الدارمي في رده على الجهمية (ص ٣١) ح ٤٤، وفي رده على بشر المريسي (ص ٨٧)، وابن جرير في تفسيره (١٧/٢٩) وفي تاريخه (٣٤/١) والآجري في الشريعة (١٧٩، ٢٩٣) من طرق عن سفيان الثوري به.

وقد روى شعبة هذا الخبر عن أبي هاشم - كما تقدم - ولم يقل فيه ما قال سفيان، من أن الله - عز وجل - كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً، =

فدل هذا اللفظ على أن الله خلق القلم بعد خلقه
عرشه، وأن الأوَّلِيَّة التي ذكرت للقلم هي بالنسبة لهذا
العالم المشهود من السموات والأرض وما بينهما، ويؤيد
ذلك قوله في الحديث: «حتى تقوم الساعة» أو «إلى يوم
القيامة» فهو يدل على أنه إنما أمره حينئذ أن يكتب مقدار
هذا الخلق إلى قيام الساعة، ولم يكتب حينئذ ما يكون بعد

= وما زاده الثوري مقبول فهو زيادة ثقة بل هو أولى من رواية شعبة، فقد
روى وكيع عن شعبة قال: سفيان أحفظ مني وإذا خالفني في حديث
فالحديث حديثه، وقال رجل لشعبة: خالفك سفيان، فقال: دمغتني،
وقال يحيى القطان: ليس أحد أحب إليّ من شعبة، ولا يعدله أحد
عندي، وإذا خالفه سفيان أخذت بقول سفيان، وقال أيضاً: سفيان أثبت
من شعبة وأعلم بالرجال، وقال أيضاً: ما رأيت أحداً أحفظ من سفيان
ثم شعبة، وذكر شعبة وسفيان مرة فقال: سفيان أقل خطأ؛ لأنه يرجع
إلى كتاب. وقال يحيى بن معين: ما خالف أحد سفيان في شيء إلا
كان القول قول سفيان. وقال إسحاق بن هانئ: قلت لأحمد: إن
اختلف سفيان وشعبة في الحديث، فالقول قول من؟ قال: سفيان أقل
خطأ، وبقول سفيان آخذ، وقال أيضاً: سفيان أحفظ للإسناد وأسماء
الرجال من شعبة. وقال أبو عبيد الآجري: سمعت أبا داود يقول: ليس
يختلف سفيان وشعبة في شيء إلا يظفر به سفيان، خالفه في أكثر من
خمسين حديثاً القول فيها قول سفيان، وقال أبو حاتم الرازي: سفيان
فقيه حافظ زاهد إمام، هو أحفظ من شعبة، وقال صالح جزرة: سفيان
أحفظ من شعبة وأكثر حديثاً. وقال أبو زرعة الرازي: سفيان أحفظ من
شعبة في الإسناد والمتن.

ذلك، فدل ذلك على أن القلم أول المخلوقات من هذا الخلق الذي أمر بكتابه^(١).

(١) وروى ابن منده أبو القاسم عبدالرحمن في جزء (الرد على من يقول «ألم» حرف لينفي الألف واللام والميم عن كلام الله عز وجل) (ص ٧٧ - ٧٩) ح ٣٥ بسنده عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: كتب أبو موسى الأشعري إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما -: (إن قبلنا هاهنا أقوام يتكلمون في القدر) فكتب إليه عمر: (بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبدالله بن قيس الأشعري، أما بعد: فإن الله تبارك وتعالى أبرم أمره وأنفذ حكمه وقدر مشيئته وأخذ بالحجة على خلقه فيما أمرهم به من طاعته ونهاهم عنه من معصيته، فإذا أحب الله تبارك وتعالى عبداً نصره، وإذا أبغضه خذله، جعلنا الله وإياك من عباده المنصورين العاملين بطاعته، فإذا وصل كتابي هذا إليك فادعهم، وأوعز إليهم، وانهم عن المعاودة بالخوض في أمر قد أحكمه الله - عز وجل - وفرغ منه، واعلم أن أول ما خلق الله تبارك وتعالى القلم فقال له: اجر. فجرى القلم بما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، فقد فرغ الله - عز وجل - من السعادة والشقاء على عباده، فانهم عن الخوض فيما كانوا يخوضون فيه من أمر قد فرغ الله - عز وجل - منه، ومرهم بالاشتغال بتلاوة كتاب الله - عز وجل - فإن الله تعالى يكتب لمن تلا القرآن بكل حرف عشر حسنات، أما إنني لا أقول (آلم) ولكن يكتب له بالألف عشرًا وباللام عشرًا وبالميم عشرًا، فالاشتغال بهذا الذي بين الله فضله أنفع لهم، وأعود عليهم في دنياهم وآخرتهم من الخوض في أمر قد فرغ الله تبارك وتعالى منه وأحكمه) وهذا الأثر عن عمر صحيح يؤكد ما سبق ذكره في قوله (إلى يوم القيامة). والله الموفق.

ويؤيد هذا ما جاء في حديث عمران بن الحصين - الذي تقدم -
فيما رواه أبو إسحاق الفزاري وأبو عبيدة بن معن، عن الأعمش، عن
جامع، عن صفوان، عن عمران، فذكر الحديث، وجاء فيه:

أن النبي ﷺ، قال: «كان الله ولم يكن شيء غيره
وكان عرشه على الماء، ثم كتب في الذكر كل شيء، ثم
خلق السموات والأرض» و«ثم» تفيد الترتيب مع التراخي.
وبمعنى حديث عمران جاء حديث عبدالله بن عمرو بن
العاص - رضي الله عنهما - إذ يقول: سمعت رسول الله
ﷺ، يقول: «كتب» وفي لفظ «فرغ» وفي لفظ «قدّر الله
مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين
ألف سنة، قال: وعرشه على الماء»^(١).

(١) رواه ابن وهب في القدر (ص ١٠١) ح ١٧، وأحمد في المسند
(١٦٩/٢) ح ٦٥٧٩، وعبد بن حميد في المنتخب (٣٠٥/١) ح ٣٤٣،
ومسلم في صحيحه (٢٠٤٤/٤) ح ٢٦٥٣، والبسوي في تاريخه
(٥١٣/٢ - ٥١٤)، والدارمي في رده على المريسي (ص ١٩٩) وفي
الرد على الجهمية (ص ١٢٢، ١٢٦) ح ٢٥٤، ٢٦٢، والبزار في مسنده
(١٨/٢) مخطوط، وابن الإمام أحمد في السنة (٣٨٧/٢ - ٣٨٨)
ح ٨٤٢، والترمذي في جامعه (٤٥٨/٤) ح ٢١٥٦ وقال: حسن صحيح
غريب، والآجري في الشريعة (ص ١٧٦)، وابن منده في التوحيد
(٩٢/١ - ٩٣) ح ١٢، ١٣، واللالكائي في شرح الاعتقاد (٥٨٠/٤)
ح ١٠٢٥، ١٠٢٦، وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (٣٢٧/١)، والبيهقي
في الأسماء والصفات (٢٣٤/٢) ح ٧٩٩ وفي الاعتقاد (ص ٨٦)، =

ويشهد لما تقدم من أنه لا ابتداء لخالقيّة الله في الماضي
ما رواه حماد بن سلمة، عن يعلى بن عطاء، عن وكيع بن
حدس^(١) عن عمه أبي رزين العقيلي - رضي الله عنه -

= والخطيب في تاريخه (٢/٢٥٢) ت ٧٢١، والبغوي في شرح السنة
(١/١٢٣) ح ٦٧، من طرق عن حميد بن هانيء أبو هانيء الخولاني،
عن أبي عبدالرحمن عبدالله بن زيد المعافري، عن عبدالله بن عمرو
- رضي الله عنهما - به.

(١) ويقال: عدس، وقد رجح أنه (حدس) بالحاء الإمام أحمد كما في
المسند (٤/١١) ح ١٦٢٣٤ قال: الصواب حدس، وقال أبو داود في
سؤالاته لأحمد ص ١٧٥ س ٤٢: سمعت أحمد يقول: «رأيت في
كتاب الأشجعي عن سفيان عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن حدس،
يوافق حماد بن سلمة» وقال في (العلل ومعرفة الرجال) رواية ابنه عبدالله
(٣/٤٢٩): الصواب ما قال حماد بن سلمة وأبو عوانة وسفيان، قالوا:
وكيع بن حدس، وقال: هشيم يتابع شعبة، وكذا نقله ابن ماكولا في
الإكمال (٢/٤٠٠)، وقال الآجري عن أبي داود: قال: سمعت
عيسى بن يونس يقول: رأيت رجلاً من ولد وكيع فسألته عنه فقال: ابن
حدس، وقال ابن حبان في كتاب مشاهير علماء الأمصار (ص ١٢٤)
ت ٩٧٣: أما شعبة وهشيم فقالا: وكيع بن عدس، وقال حماد بن سلمة
وأبو عوانة: .. وكيع بن حدس، والصواب بالحاء، والله أعلم، وقال
في الثقات (٥/٤٩٦): أرجو أن يكون الصواب: حدس بالحاء، سمعت
عبدان الجواليقي يقول: الصواب حدس، وإنما قال شعبة: عدس،
فتابعه الناس، وقال في صحيحه (١/٤٨٢) ح ٢٤٧: شعبة واهم في قوله
عدس، إنما هو حدس كما قاله حماد بن سلمة وأولئك.

=

انه قال: يا رسول الله، أين كان ربنا - عزَّ وجل - قبل أن يخلق السموات والأرض؟ قال: «كان في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء ثم خلق عرشه على الماء»^(١).

- ورجح الترمذي في جامعه (٢٨٨/٥) أن الصواب: عدس، وكذا قال موسى بن هارون كما روى النقاش عنه، ونقله ابن ماكولا في الإكمال (٤٠٠/٢).

والصواب عندي: هو القول الأول وهو: وكيع بن حدس بالحاء، فإن شعبة كثيراً ما يخطئ في الأسماء، وخالفه سفيان؛ فالقول قوله كما تقدم، فكيف إذا تابعه حماد بن سلمة وأبو عوانة؟ وأما متابعة هشيم لشعبة فكما قال الإمام أحمد أن هشيماً يقلد شعبة، والله أعلم.

(١) رواه أبو داود الطيالسي في مسنده (ص ١٤٧) ح ١٠٩٣، وأحمد في مسنده (٤/١١، ١٢) ح ١٦٢٣٣، ١٦٢٤٥، وابن ماجه في سننه (المقدمة) (١/٦٤) ح ١٨٢، وابن أبي عاصم في السنة (١/٢٧١) - (٢٧٢) ح ٦١٢، وابن الإمام أحمد في السنة (١/٢٤٥) ح ٤٥٠، والترمذي في جامعه (٢٨٨/٥) ح ٣١٠٩ وقال: حديث حسن، ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة في العرش (ص ٥٤) ح ٧، وابن جرير في تفسيره (٤/١٢) وفي تاريخه (١/٣٧ - ٣٨) والطبراني في الكبير (١٩/٢٠٧) ح ٤٦٨، وأبو الشيخ في العظمة (١/٣٦٣ - ٣٦٦) ح ٨٣، ٨٤، وابن عبد البر في كتاب التمهيد (٧/١٣٧) وابن أبي زمنين في أصول أهل السنة، مخطوط (ص ٧) باب في الإيمان بالعرش، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/٢٣٥، ٣٠٣) ح ٨٠١، ٨٦٤، والذهبي في العلو (ص ١٩) وحسن إسناده. والحديث رجاله ثقات، إلا ما يقال في وكيع بن حدس من جهالة وقد وثقه ابن حبان، بل قال عنه: إنه من الأثبات، كما في مشاهير علماء الأمصار، ووكيع من التابعين وقد روى =

وقوله: (عماء): هو السحاب الأبيض^(١)،
وهو شبه الدخان يركب رؤوس الجبال^(٢)

= عنه ثقة، ولم يرو ما ينكر، بل أحاديثه مشهورة ولم يقدر فيها، وقد وثق الأئمة كثيراً ممن يشبه حال وكيع، وقد حسن حديثه الترمذي بل قد صحح الحديث ابن جرير في تاريخه (٤٠/١) وخرج ابن حبان أحاديث بهذا الإسناد في صحيحه، وقال الحاكم عن حديث بهذا الإسناد: (صحيح الإسناد) ووافقه الذهبي، وحسن سنده ابن حجر، وقال أبو القاسم بن سلام: «هذه الأحاديث صحاح حملها أصحاب الحديث والفقهاء بعضهم على بعض، وهي عندنا حق لا شك فيها». وقد ذكر فيها هذا الحديث (الصفات للدارقطني ح ٥٧).

(١) قال محمد بن عثمان بن أبي شيبة في كتاب العرش (ص ٥٤) ح ٨: «حدثنا عبدالله بن مروان بن معاوية قال: سمعت الأصمعي يقول وذكر هذا الحديث فقال: العماء الممدود في كلام العرب السحاب الأبيض، وأما العمى المقصور ففي البصر وليس هو من معنى هذا».

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام في غريب الحديث (٨/٢): «قوله: في عماء: في كلام العرب: السحاب الأبيض - ثم نقل قول الأصمعي والشواهد من كلام العرب إلى أن قال: - وإنما تأولنا هذا الحديث على كلام العرب المعقول عنهم، ولا ندري كيف كان ذلك العماء وما مبلغه، والله أعلم، وأما العمى في البصر فإنه مقصور وليس هو من معنى هذا الحديث في شيء». وقال الأزهري في تهذيب اللغة (٢٤٦/٣): «القول عندي ما قاله أبو عبيد أنه العماء، ممدود، وهو السحاب».

(٢) قال الجوهرى في الصحاح (٢٤٣٩/٦): «والعماء ممدود: السحاب. قال أبو زيد: هو شبه الدخان يركب رؤوس الجبال».

وقيل: السحاب الكثيف المطبق^(١).

فدلَّ الحديث على أن هذا العماء مخلوق قبل العرش، لقوله: «ثم خلق عرشه على الماء» فالله أعلم بما كان قبل هذا العماء من مخلوقات، وإنما تنتهي إلى ما علَّمنا سبحانه.

(١) قال أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي زمنين: «العماء: السحاب الكثيف المطبق، فيما ذكر الخليل» انظر: مخطوط أصول أهل السنة لابن أبي زمنين (ص ٧) وانظر الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٥٥/٥).

وقال الأزهري: «قال الليث: العماية والعماءة: السحابة الكثيفة المطبقة».

وقال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة (٤/١٣٥): «العماء: السحاب الكثيف المطبق، والقطعة منه عماءة».

وقال الخطابي في إصلاح غلط المحدثين (ص ٤٦) ح ٦١: «يرويه بعض المحدثين في عمى (مقصور) على وزن: عصاً وقفاً. يريد أنه كان في عمى عن علم الخلق، وليس هذا شيئاً، وإنما هو في عماء (ممدود)، هكذا رواه أبو عبيد وغيره من العلماء. قال: والعماء: السحاب. قال غيره: الرقيق من السحاب».

فائدة مهمة

وهي أن من عرف ذلك، عرف عظم التسبيح الذي أخبر به رسول الله ﷺ، أم المؤمنين جويرية، لما خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة في مصلاًها، فقال: «مازلت على الحال التي فارقتك عليها؟» قالت: نعم، قال النبي ﷺ: «لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته»^(١).

(١) رواه الحميدي في مسنده (٢٣٢/١) ح ٤٩٦، وأحمد في المسند (٢٥٨/١، ٣٥٣) ح ٢٣٣٤، ٣٣٠٨، (٣٢٤/٦ - ٣٢٥، ٤٢٩ - ٤٣٠) ح ٢٦٨٠١، ٢٧٤٦١، والبخاري في الأدب المفرد (١٠٢/٢) ح ٦٤٧، ومسلم في صحيحه (٢٠٩٠/٤) ح ٢٧٢٦، وأبو داود في سننه (١٧١/٢) ح ١٥٠٣، وابن ماجه في سننه (١٢٥١/٢ - ١٢٥٢) ح ٣٨٠٨، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (٤٣٧/٥ - ٤٣٨) ح ٣١٠٦ - ٣١٠٨، والترمذي في جامعه (٥٥٦/٥) ح ٣٥٥٥ وقال: حسن صحيح، والنسائي في المجتبى (٨٦/٣ - ٨٧) ح ١٣٥١، وفي الكبرى (٤٠٢/١) ح ١٢٧٥، (٤٨/٦ - ٥٠) ح ٩٩٨٩ - ٩٩٩٣، وأبو يعلى في مسنده (٤٩١/١٢) ح ٧٠٦٨، وابن خزيمة في التوحيد (١٧/١) ح ٥، وابن حبان في صحيحه (١١٠/٣، ١١٣ - ١١٤) ح ٨٢٨، ٨٣٢، والطبراني في الكبير (٦١/٢٤ - ٦٣) ح ١٦٠ - ١٦٣ =

فإن ما يقوم بقلب الذاكر حين يقول: «سبحان الله وبحمده عدد خلقه» من معرفته وتنزيهه وتعظيمه لله بهذا القدر المذكور من العدد، أعظم مما يقوم بقلب القائل: «سبحان الله وبحمده» وهذا يسمى الذكر المضاعف، وهو أعظم ثناء من الذكر المفرد المجرد، وهذا إنما يظهر في معرفة هذا الذكر وفهمه، فإن الذاكر لله بهذا الذكر يخبر أن ما يستحقه الرب من التسبيح وهو تنزيه الله وتعظيمه والثناء عليه، هو تسبيح يبلغ هذا العدد العظيم، الذي لا يبلغه العادُّون، ولا يحصيه المحصون، ولو كان في العدد ما يزيد عليه لذكره، فإنه ليس لخالقية الله ابتداءً، فالله يخلق في الأزل، والأزل ليس شيئاً محدوداً، وكذلك لا أحد يحصي الحاضر من خلقه، وتجدد المخلوقات لا ينتهي عدداً.

وأما قوله: (ورضا نفسه) فإن المراد: تسبيحاً هو في العظمة والجلال مساوٍ لرضا نفسه سبحانه، ولا ريب أن رضا نفس الرب أمر لا نهاية له في العظمة والوصف.

= وفي الدعاء (٣/١٥٨٦ - ١٥٨٧) ح ١٧٤١، ١٧٤٢، وابن منده في التوحيد (٣/٢٧ - ٢٨، ١٣٧ - ١٣٩) ح ٣٧٨، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، وأبو إسماعيل الهروي في الأربعين في دلائل التوحيد (ص ٥٢ - ٥٣) ح ١٠، والبغوي في شرح السنة (٥/٤٥) ح ١٢٦٧، وابن أبي حاتم في علله (٢/٢٠٧) ح ٢١١١.

وأما قوله: «وزنة عرشه» فالمراد: تسبيحاً هو في العظم والثقل وكبر المقدار مساوٍ لزنة العرش الذي هو أثقل المخلوقات على الإطلاق، فلم يحمله حملة العرش بقوتهم وبشدة أسرهم، ولكن بقوة الله وتأيده.

وأما قوله: «مداد كلماته» فهذا يعمُّ الأقسام الثلاثة ويشملها، فمداد كلماته سبحانه لا نهاية لعدده ولا لصفته وعظمته ولا لثقله وقدره^(١).

فسبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته.

سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته.

سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته.

تمت الرسالة بحمد الله وفضله ومنه وكرمه

(١) انظر: المنار المنيف - لابن القيم.

وَلَاةُ الْعَامَّةِ

المملكة العربية السعودية

الرياض - ص ب ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي ١١٥٥١

هاتف ٤٩٣٣٣١٨ - فاكس ٤٩١٥١٥٤